العشرينيات والعشرينيات

للدكتور ناصر الدين الأسد

- ١ -

تجري الالسنة والاقلام من حين الى حين بتعبيرات والفاظ لا تلبث ان تشيعَ مِن خلال الصحف والاذاعات والتاليف شيوعا يستوقف الحريصين على سلامة اللغة ونقائها ، فاذا هم يُطيلون البحث فيها والطواف حولها ليتحققوا من صحتها،ومن انها جارية مجرى كلام العرب في الاستعمال،او في القياس،او فيهما معا . وما اكثرَ ما صَدَرَ من كتب في القديم وفي الحديث،بَناها مؤلفوها على تَتَبُّع هذه التعبيرات والألفاظ،وبيان ما فيها من خطأ،والتنبيه على الصحيح الذي يجب استعماله مكانها .

وهذا بابٌ من العلم ظاهِرُه اليُسرُ والاغراء بالدخول منه ، وباطِنُه محفوف بالمزالق والمكاره ، اذ لا بُدَّ للمتوغّل فيه من ان يكون محيطاً بكلام العرب او باكثره ، بصيرًا باساليبهم ، عالِمًا بشعرهم ونثرهم على مر العصور وتَعدُّد البيئات ، حافظًا ، ذاكرًا ، قادرًا على الاستشهاد وضرب المثل والإدلاء بالحجّة . وايـن مَن يَدَّعي انه كلَّ هذا او بعضَه ؟

ومن اجل ذلك كَثُرَت الكتب التي أَلَّفها اصحابها للردّ على مؤلفي الكتب السابقة ، وبيان ما وقعوا فيه من تَسَرُّع الى التخطئة ، وتوضيحِ وجه الصواب فيما ظَنّوه وهْمًا او مخالفا لكلام العرب .

وكلا الفريقين من العلماء لا يَنْتَقِصُ من علم احدهم انه اخطأ في اجتهاده ، ولا يَعيبُه انه غاب عنه امرٌ عرفه غيره ؛ ولهم جميعا الاجر والثواب ان شاء الله .

وما نِلْتُهُ لطالب هذا الضرب من الثواب ، واربو أجْر الاجتهاد ، ملقيًا بداوي بين الدلاء في الفاظٍ شاعت وراى غيري انها خطأ ، وكنتُ من الذين راوا صوابها ، ونَشَرْتُ بعض ذلك في مجلّة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١) .

وأحِبُّ الآن ان استزيد من الخير ، فأواصل في مجلة مجمعنا الناشيء ما كنتُ بدأتُه في مجلّة مجمعنا العريق .

— ٢ —

وكان الذي قادني الى هذا الحديث مقالٌ نَشَرَتْه صحيفة يومية (٢) ، في مصرنا العربية ، الحبيبة لقلب كلِّ عربي ، كَتَبَه عالِمٌ جليل ، عضوٌ في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، معروف بالرويّة والثبْت ، مالَمَا أنِسْنا بحديثه وأفَدْنا منه . وتناولَ في مقاله كلمتين اقتصر هذا على الثانية منهما ، ونبدأ بنقل ما كَتَبَه عنها بحروفه ، قال :

« وثمّت كلمة ثانية يستعملها الناس في عصرنا على انها صواب ، وهي عريقة في الخطأ ، وهي كلمة : العشرينات والثلاثينات والاربعينات ، وما الى ذلك من سائر العقود . ووَجْهُ الخطأ في هذا الاستعمال ان هذه الكلمات جموعٌ لعشرينة وثلاثينة واربعينة ، وليست هذه الكلمات في متن اللغة ، اذ كانت لا معنى لها .

والصواب في الاستعمال ان يقول القائل : هذا حَدَثَ في العشرينيّات والثلاثينيّات والأربعينيات ، بمعنى انه حدث في السنوات النسوبة الى العشرين والثلاثين والاربعين وما اليها . فالكلمة يجب ان تكون مستعمَلةً على طريق ياء النسبة ، وحَذْفُ الياء هذه خطأ ، عريق في باب الخطأ الذي يكاد يهبط الى منزلة الخطيئة ، لأن التصحي من شعائر الاسلام ، ولان الحرص على العربية حرص على لغة القرآن .. » .

---

(١) الاجزاء ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٤ .

(٢) جريدة الاخبار ، ١٩٧٧/٩/٢١ ، ص ٥ ، بعنوان « الصواب المظلوم » .

— ٣ —

ولِحِرْصِنا جميعـــا على العربية ، لغـــة القرآن ، نستأذنُ الاستاذ الجليل في ان ناخـــذ باطراف الأحاديث بيننـــا ، ونستأنف مجالسَ كانـــت لنـــا ، عَرَفْناه فيها مُحِبًّا للحقيقة والحـــقّ ، حَفِيًّا عنهما ، لا يضيق صدره بِرَدٍّ او ســـؤال او تصحيح .

ولقد غاب عنّي فهـــمُ ما قصد اليه من قولـــه إنّ العشرينات بغير يـــاء النسبة ،« عريقة في الخطـــأ » وان « حذف الياء هذه خطـــأ عريق في باب الخطـــأ » ؛ فلم افهم معنى « العراقة » هنـــا ! إنّ الذي يتبادر الى الذهـــن من ظاهر اللفظة انها تعني القِـــدَم في الاستعمال على هذه الصورة . فهل وَرَدت « العشرينـــات » وأضرابُها في كـــلام العرب قديما ؟ هل جاءت في شعرٍ او نثـــرٍ من عصور الاحتجاج اللغوي ؟ إنْ كانـــت في مثل هـــذه العراقة فأولى ان نقول إنهـــا « عريقة في الصواب » ! وان لم تكن قـــد تَحَدَّرت الينا من تلـــك العصور ، ففي ايّ عصر بـــدا استعمالها ؟ فان كانت هـــذه اللفظةُ لم تَجْـــرِ في الاستعمال الاّ في المـــائة الاخيرة او قبلهـــا بقليل ، فليس لنا ان نقول عنها إنهـــا « عريقة » ، لا في خطـــأ ولا فـــي صواب .

وان كان المقصـــودُ من العراقة في الخطأ انهـــا مخالفةٌ لطريقة العرب في بنـــاء الكلمة وفي جمعها ، وليس في استعمال هـــذا الجمع بعينه قديما ، فذلـــك يقودُنا الى مسالك اخرى مـــن الحديث .

فالعشرينات والثلاثينـــات والاربعينات ليست بالضرورة « جموعـــا لعشرينة وثلاثينة واربعينـــة » التي هي ليست « فـــي » متن اللغة ، اذ كانت لا معنـــى لها » .

والجمع الذي ينتهي بالألف والتاء ، والذي يُسَمُّونه جمع مؤنث سالما ، ليس دائما جمعـــا لمؤنث ، اذ كثيرًا مـــا جُمِعت عليه الفاظٌ لمذكّر غير عاقل ، اذا لـــم يكن لهذه الالفاظ جمـــعُ تكسير ؛ فالفاظٌ مثلُ : حَمَّام ،

وخَزّان ، وسِجِلّ ، وقرار ، ومُسَوِّغ . تُجْمَع على : حَمّامات وخُزّانات ، وسِجِلّات وقرارات ومُسَوِّغات ؛ وكُلها في مفردها تدلّ على مذكّر غير عاقل . بل استعملوه ايضا في القديم والحديث لجمع الجمع ، للمذكر العاقل وغير العاقل ؛ ففي العربية ، رجالٌ ورجالات ، وجِمالٌ وجِمالات ، وبيوتٌ وبيوتات ، وبُيوعٌ وبيوعات ، واهرامٌ واهرامات . ومفردها مذكّر .

ثم اذا كنّا قد حَكمنا بأن « العشرينة والثلاثينة ليست في متن اللغة » فاننا كذلك لا بُدَّ حاكمون بأن "العشرينية والثلاثينية والاربعينية" ليست كذلك في متن اللغة على وجه اليقين ، ولم يَجْرِ بها لسانُ أحدٍ من العرب في القديم . ونحنُ نَعْلم ان مَجْمَعنا في القاهرة قد بَحَثَ هذه الالفاظ وجموعها،وذَهَبَ الى ما ذهبَ اليه الاستاذ الجليل ، وعدَّ « العشرينات » واضرابها خطأ ، و « العشرينيات » واضرابها هي الصواب (١) .

ثم ان هذه « الياء » المُقْحَمة التي قيل إنها للنسبة ، مشكلة في التَصَوُّر والفَهم معا ؛ فما أظنّ احدًا مِمَّن يَستعمل هذه الجموع يَصدُر عن تَصَوُّر النسبة الى مفرداتها ؛ وما اظنُّ احدًا ممن يسمعها أو يقراها يستقرُّ في فهمه معنى هذه النسبة ، وانما يريد القائل ان يدلّ دلالة عامّة على حقبة زمنية تمتدُّ عشر سنوات ، تبدأ بعدد في صورة الجمع،وليس في حقيقته جمعا ، وتتسلسل بعده تسع سنوات تاليه،بوَضْع عَدَدٍ قَبْلَه بَينَهُما واو العطف . هذه الدلالة العامة على حقبة زمنية ، مبْنة هي التي يَقصدها القائل حين يريد ان يتجنَّبَ تحديد سنة بعينها ؛ وهي التي يَفْهَمُها السامع ، ولا يدور في خَلَد احد منهما ان ينسب شيئا الى شيء .

---

(١) في الجلسة التاسعة من مؤتمر المجمع في الدورة التاسعة والثلاثين ، وفي الجلسة السادسة والعشرين من المجلس في الدورة نفسها ؛ وانظر بحث الاستاذ محمد شوقي امين،وبحث الاستاذ الشيخ عطية الصوالحي في كتاب « الالفاظ والاساليب » اصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٧٧ .

ماذا كان لا بُـدَّ من استعمال احد هذين الجمعين، فـإنَّ تَرْك الياء اولى ، واستعمال العشرينـات والثلاثينات والاربعينات ، اقرب الى ذوق العربية وادخـل في أساليبها ، وهو مـا شاع استعمالـه واستساغـه العـرف .

— ٤ —

ومع ذلك ، فقـد اعْتَسَفْنا الطريق واسبحنا مُنْبَتّين ، حـين تَرْجَمْنا ترجمةً حرفيـة ما استعملته اللغات الاجنبية من جموع هذه الالفاظ ، ثـم دخلنا في تيـه من الجدل في تخطئة هذه الترجمات وتصويبها ، ولم نَرْجِعْ في كـلّ ذلك الى ما استعمله العرب منـذ اقدم عصورهم للدلالة على هذه الالفـاظ ، متوهّمين انها من المعانـي العصرية المستحدَثة التي لم تَرِدْ في كـلام العرب ، على حين انهم عَرفوها وادارو هـا كثيرا في كلامهم منذ الجاهلية ؛ وهي لفظـة العقد نفسـه — بغير جمع — مقرونة بالالف والـلام ، وقد تُجَرَّدُ منهما في الشعـر بخاصة ، اذا دلّت القرينة على المعنى . فقالـوا : العشرين ، والثلاثين ، والاربعين ، الـى آخـر العقود ، بدلا مـن العشرينات او العشرينيـات واشرابهما . وبِحَسْبِنا شواهـد معدودات نأنس اليها في هـذا الحكم ونطمئن اليها نفوسنـا :

قـال سُحَيْم بن وَثيـل الرِّياحيّ (جاهلي اسـلامي) (١) :

ومـاذا يَدَّري الشعـراءُ منّـي وقـد جاوَزْتُ راسَ الأربعـين

اخـو خمسينَ ، مجتمعًا أشُدّي ونَجَّذنـي مـداورةُ الشـؤون

فللأربعينَ راسٌ هـو حَدُّها الأعلى ، ولهـا « ذَنَبٌ » هو حَدُّها الأدنى . وهي تتدرَّج بينهمـا . فسُحَيْم يَذكر انـه جاوز التاسعةَ والأربعين من عمـره ، وهي راسُ الأربعين وحَدُّهـا الاعلى ، ثم وَضَّحَ ذلك توضيحا ما بعده من مزيـد حين قال : « اخـو خمسين » .

---

(١) البيتان من القصيدة الاولى في الاصمعيات، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .

ويقول دِعْبِل الخُزاعيّ (عبّاسي) (١) :

أفِيقي مِن مَلامِكِ يا ظَعينا كفاكِ اللومَ مَرُّ الأربعينا

وهذا شبيه بقول سُحَيْم ؛ فالاربعون بكلّ سنواتها قد مَرَّت وانقضت، وصار شاعرنا « أخا خمسين » .

واشهَرُ بيت في هذا المضمار قول عوف بن مُحَلِّم الخزاعيّ (عبّاسي) (٢) :

إنّ الثمانين ــ وبُلِّغْتَها ــ قد احْوَجَتْ سمعي الى تَرْجُمانْ

ومَن عَرَفَ طريقة العرب في البيان ادركَ ان الشاعر هنا لا يريد ثمانين سنة على وجه التحديد والتخصيص ، لا يتجاوزها ، ولكنّه اراد العقد بمجموع سنواته ، فهو في « الثمانين » بين ادنى سنواتها و « راسها » .

وقد ذكرنا أن هذه العقود قد تُجَرَّد من الألف واللام في الشعر بخاصة اذا دلّت القرينةُ على ذلك . ومِنْ اطرف ما نَسْتَشْهد به على ذلك ، واعذبه ، وأنفَسِه ، قول المَلَّيّ (٣) :

ولقد قالتْ لأتْرابٍ لها كأُلَّهَا يَلْعَبْنَ في حَجْرَتِها

« خُذْنَ عنّي الظِلَّ ، لا يُفزِعُني » ومَضَتْ تسعى الى قُبّتِها

بِنْتُ عَشْرٍ لم تُعانِقْ رَجُلاً صُوِّرَ البَدْرُ على صورَتِها

وامرؤ قَبَّلْتُ فاها قُبْلَةً كِدْتُ أُلْقَى اللّهَ من لَذّتِها

ولا أُحِبُّ لنفسي ولا لِغَيري ان نَعْتَسِف الطريق ونَقْتَحِم الكلام بغير دليل ، ولكنّ الجوَّ يوحي بأن الشاعر لم يقصد الى تحديد سنّ

---

(١) ديوانه : ١٤٨ ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ م .

(٢) ترجمته في فوات الوفيات ، رقم : ٣٤٠ ، والبيت من شواهد النحو في اعراب الجمل .

(٣) من ابيات اطّلعتُ عليها في مخطوطة كتاب نوادر الهجري ، في مكتبة استاذنا محمود محمد شاكر .

العاشرة ، وإنْ كـان ذلك قد جاء ولا يزال جائزا على نُدرة نادرة ، وانما أراد هـذه السنَّ التي تزدهر بـين العاشرة والتاسعة عشرة ، والتي يُطلقون على مـن كان فيها من الفتيات والفتيـان بالانجليزية « تِينْ ايجرز » ، ونحـار في اختيار كلمة عربية مقابلة لهـا .

— ٥ —

وبعـد ،

فمـن أراد طريقةَ العرب وما ساروا عليـه في كلامهم ، فأمامه هذا الشعر المُبـين ، ولْيَقُل : « حَدَثَ ذلك في العشريـن او الثلاثين او الأربعين من هذه المئـة ، او من هذا القرن » ، ولا يخافَـنَّ اللَّبْس ؛ فنحن لا نقول : حـَدَث ذلك في العشرين من هذا القـرن ، ونقصدُ سنة ١٩٢٠ ، وانما نُحَدِّدُهـا ونقول ، حدث ذلك في سنـة عشرين ، وليس فـي العشريـن .

ومن أرادَ المخالفـة عن استعمالهم الذي أَلِفُـوه ، وأرادَ أن يُحْدِث كلامًا جديدا ، فـلا بأس عليه أن يجمع لفـظ العقد فيقول : العشرينات والثلاثينـات . وقد وَرَد في كلام العـرب تثنية العقد :

« قال الأخفش ، اخبرني المبرّد قال : انشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه : « وقد مَضَتْ لـي عشرونان ثنتان » . . فقلت لـه : أيُّها الامير ، هذا لَحْـنٌ لان إعراباً لا يَدْخُـل على إعراب » (١) .

وإنكارُ المُبَـرِّد لا ينصرف الى تثنية العقد ، وانما انصرف الى وجود إعرابَين : فالـواوُ والنون للرفع في جمع المذكـر السالم ، والالف والنون للرفع في المثنّى . ولو قال : لـي عشرينان ثنتان ، ما انكر المبـرِّد شيئا .

واذا جازت التثنيـة على هذا الوجه جاز الجمـع .

أمـا ما سوى ذلك ، كإضافة يـاء النسبة قَبْلَ الجمع ، فشيء تنبـو عنه الاسماع ، وتمجُّـه الأذواق ، وليس ما يدعو اليه ، ممّا يُزَيِّنه لنـا المزيّنون بتخريجاتهـم .

---

(١) المرزباني ، الموشـح ٣٥٧ ، المطبعة السلفية بمصر سنـة ١٣٤٣ هـ .